الواقع الجديد في الشرق الأوسط يلقي بظلاله على اتفاقات كامب ديفيد

صه المحرر السياسي

"اليهوة العميقة" بين موقفي مصر واسرائيل، التي تحدث عنها اثرتون عند مغادرته المنطقة، يمكن وصفها "باليهوة الايرانية".

وكما قال اثيرتون نفسه فان الرأي السائد، حتى وقت قريب، هو ان خلافات مصر واسرائيل حول معاهدة الصلح بينهما، تنحصر في طريق صياغة بعض بنود تلك المعاهدة.

ولكن اثيرتون ادعى انه فوجئ، خلال محادثاته مع الطرفين، بوجود "هوة عميقة" اخطر بكثير من الخلاف حول الصيغ والكلمات.

وهذه النتيجة التي توصل اليها اثيرتون، ولم يتحدث عن اسبابها، تبدو منطقية تماما عند مراجعة الظروف التي تم خلالها الاتفاق في كامب ديفيد، ومقارنتها بما استجد اليوم على الساحة في الشرق الاوسط.

لقد كانت اتفاقات كامب ديفيد انعكاسا لحالة من توازن القوى، او لتقدير استراتيجي، يقوم على الافتراض بأن الانظمة المرتبطة بالولايات المتحدة، قوية وقادرة على تقديم "العون المتبادل" لبعضها البعض، وان التنسيق بين العسكرية الايرانية المدعمة بالثروة، والثراء السعودي المدعم بالنفوذ الديني، والدور المصري المدعم بالطاقة البشرية والموقع الجغرافي، وبقايا السمعة القديمة، يمكن ان يضمن للامبريالية الامريكية، اذا ما ارتبط بصورة ما، بالامكانات الاسرائيلية العسكرية والسياسية والتكنولوجية، هيمنة كاملة لا في منطقة الشرق الاوسط فحسب، وانما في مناطق اخرى مجاورة في آسيا وافريقيا.

غير ان الافتراضات التي قامت عليها اتفاقات كامب ديفيد، سرعان ما تبين انها غير واقعية. اذ لم تستطع "بقايا السمعة القديمة" للنظام المصري، والحاجة العربية الى دور مصر، ان تقنع الدول العربية الاخرى بضرورة الاستمرار في "التضامن" مع النظام المصري مهما كان الثمن وكيفما كان الاتجاه. وكان رد مؤتمر بغداد ضربة قوية لتقديرات واضعي اتفاقات كامب ديفيد.

وخلال ذلك كانت العسكرية الايرانية المدعمة بالثراء النفطي تقف عاجزة عن احتواء ثورة الجماهير العزلاء، او عن الاحتفاظ برمزها — الشاه — فوق عرش الطاووس.

وهكذا بقيت اطراف اتفاقات كامب ديفيد وحيدة في بحر مضطرب، لا تملك القدرة على اعادة الهدوء اليه، وحينما يهدأ ستكون صورته مختلفة وقدرتها على الاستمرار في الابحار فيه امر مشكوك فيها.

وبعبارات اخرى ان مصر بدون العرب، لا تستطيع ان تلعب دورها المطلوب منها في اتفاقات كامب ديفيد. واسرائيل بدون شاه ايران ستفقد حلقة الوصل في التأثير على موقف الجبهة العربية الشرقية، وفي تقييد حركة العراق وشل دوره على الساحة العربية. فضلا عن النتائج السلبية الاخرى على الوضع في الخليج، والمخططات الامريكية في المحيط الهندي، وعلى موضوع تزويد اسرائيل وغير اسرائيل بالنفط الايراني.

وفي ظل وضع كهذا يكون توقيع معاهدة الصلح بين مصر واسرائيل، مصدرا لاخطار اضافية على مركز النظام المصري، وسببا لان تتحول الخلافات العربية الحالية مع النظام المصري، الى "قطيعة تامة" كما صرح بذلك الملك حسين الى مجلة النايم الامريكية.

وفي مثل هذه الظروف لن يكون من الصعب تصور الاضرار السياسية والاقتصادية التي ستلحق بمصر، خاصة وانها تعتمد الى حد كبير على المعونات المالية السعودية والايرانية، الامر الذي سيجعل من النظام المصري، مجرد عبء على الولايات المتحدة، بعد ان كانت تتوقع منه ان يكون جسرا واداة مساعدة، لخدمة مصالحها الاستراتيجية في منطقة الشرق الاوسط وبعض اجزاء افريقيا.

غير ان الولايات المتحدة لا تستطيع ترك النظام المصري عند المنعطف الحالي. لانها تدرك ان عدم توقيع معاهدة الصلح، والاعتراف بفشل ما كان السادات يعتبره انجازا هاما ورصيدا سياسيا له، يعني مضاعفة الاخطار على مركزه، وعلى مركز دول اليمين العربي بوجه عام وخاصة السودان والمغرب وعمان وقابوس.

وقد حاولت الولايات المتحدة بالضغط والترغيب اقناع السعودية وعددا من دول اليمين العربي، بضرورة تعبير موقفها من السادات، ومراعاة المصالح المشتركة بين الولايات المتحدة وهذه الدول، في مقاومة حركة التحرر الوطني والاجتماعي في المنطقة، او ما يستبدل عادة بالتصريحات الدعائية، وبالعبارة التطبيلية "مقاومة الشيوعية والخطر السوفييتي".

ويشير ممثلو الولايات المتحدة في تلك الدول الى الثورة الايرانية، والى ضرورة اخذ العبرة منها، والى ان مصير الشاه هو المصير

المحتمل لحكام تلك الدول، ان لم يتداركوا الامر بالوحدة فيما بينهم، وبتعزيز مركز النظام المصري كي يستطيع مساعدتهم.

ومن جهة اخرى حاولت الولايات المتحدة ايجاد صيغة من خلال مشروع معاهدة الصلح، ومن خلال اتفاقات كامب ديفيد، تساعد على تحقيق التقارب بين دول اليمين العربي والنظام المصري، وترضي اسرائيل في نفس الوقت. ولكن هذه المحاولة لم تنجح كما ظهر من تصريحات اثيرتون قبيل مغادرته اسرائيل الى واشنطن.

ويستدل من التصريحات الرسمية الاسرائيلية، ان الحكومة الاسرائيلية تحاول اقناع الولايات المتحدة، بالعودة الى سياسة الخمسينات تجاه دول الشرق الاوسط. وهي السياسة التي كانت تعتبر اسرائيل، حجر الزاوية في العلاقات الامريكية الشرق اوسطية.

وفي خطاب رئيس الوزارة الاسرائيلية امام مؤتمر المزارعين، اشار الى ان معاهدة الصلح مع مصر لن تجلب السلام. وقال "ان هناك دولا عربية مجاورة لنا عقدت مؤتمرا لها في بغداد ويجب ان نراقب بحذر شديد ما تحضره هذه الدول."

وكان سمحا ارليخ وزير المالية الاسرائيلية قد صرح في اعقاب مؤتمر جبهة الصمود في دمشق قبل بضعة شهور، ان الجبهة الشرقية لا تشكل خطرا ولكنها قد تسبب "بعض الازعاج" وهذا الفرق بين التصريحين يشير الى ان المسؤولين الاسرائيليين قد اعادوا النظر في حساباتهم بعد التطورات الاخيرة في ايران.

وهناك بالاضافة الى ذلك شعور متزايد في الاوساط الرسمية الاسرائيلية بأن الاتفاق مع مصر، حتى لو تحقق، فسوف لا يكون مضمونا، لعدم الثقة بقوة مركز النظام المصري.

وقد قال وزير خارجية اسرائيل، موشه ديان، في خطاب له امام مؤتمر "سندات اسرائيل" في اواخر الشهر الماضي، "ان علينا ان نسأل انفسنا عما اذا كنا مصيبين في اعتبار استقرار تلك البلدان (يقصد بلدان الشرق الاوسط الصديقة لامريكا) امرا مفروغا منه". واضاف "اعتقد ان المرحلة القادمة من المفاوضات مع البلدان العربية، ستجرى تحت تأثير ما يحدث حولنا، اننا لا نستطيع تجنب ذلك، او تجاهله. وهذا لن يجعل الامور اسهل او ابسط".

امام هذا كله يتبين ان الاسس التي استندت اليها اتفاقات كامب ديفيد، قد تصدعت بالفعل ان لم تكن قد انهارت تماما. وان البحث، بالتالي، عن صيغ لفظية لانقاذ تلك الاتفاقات بات مضيعة للوقت، وقد اعترف اثيرتون بنفسه بهذه الحقيقة بعد مفاوضاته المطولة مع المصريين والاسرائيليين.

ويمكن القول ان هنالك عملية اعادة النظر، من قبل مختلف اطراف اتفاقات كامب ديفيد في تلك الاسس. وقد لفت الانتباه في خطاب كارتر بمناسبة تسلم اوراق اعتماد السفير الاسرائيلي الجديد عمرون، قوله: "من الناحية الاستراتيجية تعرفون جميعكم اهمية هذه البلاد (اسرائيل) لامن امتنا واستقرار الشرق الاوسط".

وقد عاد كارتر لتاكيد الاهمية الاستراتيجية لاسرائيل في رسالة الاتحاد السنوية، التي القاها امام الكونغرس قبل اسبوعين وجاء فيها: "ان التزامنا ثابت لوجود اسرائيل وامنها متأصل في قناعاتنا العميقة، في معرفتنا للاهمية الاستراتيجية لشرق اوسط مستقر بالنسبة لامننا". وقبل ذلك ارسل اربعة وسبعون جمرالا امريكيا متقاعدا رسالة الى كارتر حثوه فيها على الاعتماد بشكل رئيسي على اسرائيل في الشرق الاوسط".

وتبدي الحكومة الاسرائيلية من جهتها استعدادا للقيام بهذا الدور. وقد اكد ذلك وزير الخارجية الاسرائيلية في خطابه المشار اليه سابقا حيث قال: "اننا اكثر من راغبين في ان نكون طرفا في صناعة سياسة الغرب هنا. وسنكون اكثر من مستعدين للمساعدة باية طريقة تراها الحكومة الامريكية (لمعالجة) الوضع الراهن".

غير ان الولايات المتحدة، وان كانت تعطي الاولوية في تخطيطها الاستراتيجي لاسرائيل في منطقة الشرق الاوسط، الا انها مع ذلك تدرك ان اي تغيير في الوضع السياسي لدول اليمين العربي، سيلحق ضررا كبيرا بمصالحها الامبريالية في المنطقة. وهي لذلك معنية بمحاولة تعزيز مواقع الانظمة الحالية في تلك الدول. وهناك اكثر من وفد عسكري امريكي قد زار مصر والسعودية في الفترة الاخيرة، وافتتح مكتب للتعاون العسكري بين مصر والولايات المتحدة. سيقوم "وفد من النتاغون بزيارة مصر والسعودية قريبا كما سيقوم وزير الدفاع الامريكي، بجولة في المنطقة".

ومن هذا يستدل على ان الولايات المتحدة اخذت، على ضوء احداث ايران، تولي الجانب العسكري اولوية على موضوع مباحثات التسوية السياسية. وانها تعتبر ان المهمة الحالية هي الدفاع عن انظمة اليمين العربي في وجه العاصفة الايرانية، اما تنفيذ اتفاقات كامب ديفيد فيمكن تأجيله، وقد يستدعي الامر البحث عن صيغة اخرى تأخذ بعين الاعتبار حاجة الولايات المتحدة لتجنب ايران جديدة، ان امكن، واذا سمح هذا العصر بقيام المعجزات..

○

النازية الجديدة خطر على السلام والانفراج

هناك تحذير متزايد من النشاطات الفاشية الجديدة، وخاصة في امانيا الغربية وايطاليا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وهذه ظاهرة سياسية حلت اسماها شديدا عبر العالم اجمع.

ابراز مجرمي "المجموعات الهتلرية الخاصة" كابطال امام الشبيبة..

ان النشاطات العلنية للنازيين الجدد والقدماء تقلق البشرية اكثر من اي وقت مضى منذ الحرب العالمية الثانية. فبعد ثلاثة وثلاثين عاما من انتصار التحالف المعادي للهتلرية، الذي وضع حدا نهائيا لدكتاتورية هتلر عبر التضحيات الجسيمة يوجد الان على الاقل (١٧٠) منظمة ومؤسسة فاشية جديدة. وتطبع هذه المنظمات والمؤسسات (١٢٠) مجلة ومجلد واوراق اخبار وتصدر مئات الكتب التي تنشر آراء وافكار الفاشية القديمة والجديدة.

وكتبت مجلة اخبارية في المانيا الغربية في ٩ تموز ١٩٧٦ انه توجد وحدات مقاتلة نازية جديدة عبر كل البلاد وهي مجهزة بالاسلحة والاسلاك وعندهم خطط لتحريك الوضع، ويعدون "قوائم سوداء" ويستعدون "لساعة الصفر".

وفي العديد من المناسبات، يمكن مشاهدتهم في الشوارع، يحملون انابيبا ومسدسات غازية، ويزرعون المتفجرات في مقرات العديد من الاحزاب والمنظمات الديمقراطية. ويخربون المقابر والنصب التذكارية لشهداء النضال ضد النازية، ويكتبون شعارات نازية قديمة مثل "اطردوا اليهود..." و "دمروا الجبهة الحمراء" على جدران البيوت.

وفي نهاية العام الماضي نظم تسعة نازيين، شباب جدد، موكبا وهم بالتجمع تحت اسمائها القديمة مثل "راس الموت" و "الرايخ" و "حرس ادولف هتلر" و "الشبيبة الهتلرية" ويتبجحون "بفضائلهم العسكرية" ويعلنون عن انفسهم في معسكرات تدريب القوات المسلحة في "بوندزوبر" بانهم نماذج يجب ان تحتذى.

وكشفت وثيقة قدمتها وكالة المبادرة الديمقراطية في المانيا الغربية، ان هذه المؤسسات التي اعيد تشكيلها قد قابلت في اكثر من ثمانين مناسبة بين ١٩٧٢ و ١٩٧٧ العديد من الضباط والرجال من اجل تبادل الخبرة و "اقامة وتائر الصداقة". وهذه اللقاءات والاتصالات تعتبر من اكثر مظاهر النازية الجديدة في جمهورية المانيا الغربية.

يعتبر نمو النازية الجديدة مؤشرا لازدياد التوجه اليميني لجمهورية المانيا الغربية، وهذا التوجه نتيجة منطقية لكل من تصعيد العداء للشيوعية، والمحاولات التي تقوم بها الدوائر الحاكمة من اجل تحقيق طموحاتها كدولة عظمى.

وتعكس نشاطات "وحدات الصدام" النازية الجديدة، التي اعيد نشاطها بتأثير قوى المعارضة، وضدا محليا معنونا بالطلبات الصاخبة المتزايدة "للرجل القوي" و "النظام والقانون".

وهم يريدون قانونا ونظاما يخدمهم من اجل كبت اي اصلاح ديمقراطي، واي نوع من المعارضة السياسية. وعلى مستوى السياسة الخارجية يتعاون النازيون الجدد مع المنظمات اليمينية في البلاد. وهذه المنظمات تتسلم دعما ماليا من اروقة الدولة وتعارض بشدة سياسة الانفراج وتصفها بانها "بيع للشعب" وتدعو الى استعادة "الرايخ العظيم" بحدوده في عام ١٩٣٧، ويدعم نشاط النازيين الجدد ويشجعهم ايضا اوساط رجال الاعمال الكبار الذين يكرهون التحول الحالي من سياسة الحرب الباردة، الى الانفراج في اوروبا، وترغب بشدة في العودة الى خنادق الحرب الباردة.

الطليعة — شارع ابن سينا — صاحب الامتياز والمدير المسؤول — رئيس التحرير
سياسية اسبوعية — ص.ب ١٩٣١٢ القدس — الياس نصر الله — نبيل البرغوثي
الاشتراكات: ١٥٠ ليرة وللطلاب ١٠٠ ليرة سنويا — مطبعة صلاح الدين